

المنهج المدرسي

بين النظرية والتطبيق

د/ حكيمة بوبعوي

جامعة باجي مختار - عنابة

تمهيد:

تمثل مضامين البرامج التي يتلقاها تلاميذ التعليم الأساسي أحد الجوانب الأساسية في العملية التربوية ، ويشمل المضمون الدراسي جل الممارسات الذهنية واليدوية والاجتماعية التي تمكن المتعلم من التلاؤم مع البيئة المادية والمعنوية، وتدفعه إلى التأثير بها والتأثير فيها بواسطة ما تقترحه من مناهج وقيم ومعايير سلوكية .

ومن هذا المنطلق ، تسعى العملية التعليمية إلى تحديد المقررات التي ينبغي اتباعها لتوجيه التلاميذ دراسيا وسلوكيا لتحقيق نتائج محددة في فترة نمو معينة مما يقتضي توضيح الأهداف والغايات التي ينشدها العمل التعليمي ، ويعدّ البرنامج الدراسي من المرتكزات الضرورية لتحقيق الأهداف المرجوة ، إذ هو الشغل الشاغل لمخططي التربية الذين يتساءلون باستمرار عما يجب أن تعلمه المدارس لأطفالها أو بصورة أكثر بساطة ، ماهية العناوين التي ينبغي اختيارها لمختلف أنواع المواد في هذا الصدد ، وخصصت اهتمامات كثيرة قصد الوصول إلى قرارات ذات علاقة بالمنهج المدرسي .

لقد كان وضع المناهج قديما لا يتطلب أكثر من الرجوع إلى كتب التخصص وتحديد موضوعات لكل صف وكل مرحلة . وفي معظم الحالات ، فإن

مجلة المعيار العدد الثالث عشر

المناهج لم تحتو على أكثر من لائحة تعليمية ، فضلا عن أهداف المحتوى . أما في الوقت المعاصر ، فإن المعنى العام للمنهاج قد توسع ، بحيث استوعب الخطط التفصيلية لنشاطات التلاميذ والمواد الدراسية والاقتراحات التربوية، حيث أصبح البرنامج يمثل خطة عامة للمجالات الفكرية والنفسية والفنية التي يجب فسحها أمام نمو الطفل، وكذا إثارة المشكلات وعرض المواضيع المتعلقة بنموه (1).

وإذا أمعنا النظر في مفهوم المنهاج وجدنا أن هذا المفهوم قد استعمل بطرائق عديدة ومختلفة ، وذلك من أجل وضع برنامج معين لموضوع كتاب معين، ولمستوى صف معين أو مستوى مرحلي بكامله (مرحلة التعليم الأساسي). وهذه الطريقة تبنت إما منهج النشاط أو المنهج المحوري أو منهج المواد الدراسية المنفصلة.

والواقع أن المناهج المدرسية ليس لها تاريخ انتهاء صلاحية ، ولكن الإبقاء عليها أو إخضاعها للتطوير يتوقف على مدى فاعليتها، ونقصد بالفعالية نوعية الخبرات ونواتج التعليم، " والمناهج الجيدة تعني فلسفة واضحة يؤمن بها كل من يخطط المنهج وكل من يشترك في إعداد الكتب والمواد التعليمية والأنشطة المدرسية. وهذه الفلسفة التي ينطلق منها المنهج لا بد من أن نحدد عددا من المنطلقات الفكرية التي يلتزم العاملون بها في مجال المناهج " (2) .

أولا - أنواع المناهج :

يبدو أن ضمان تحقيق نجاح العملية التعليمية لا يتوقف على البرامج الدراسية فقط، بل على نوعية الخبرات التي يمر بها التلاميذ ، ومن هنا كان أسلوب تقديم البرامج الدراسية يتبوأ مكان الصدارة ، لأن أساليب التعليم ووسائله ترتبط ارتباطا وثيقا بالبرامج الدراسية، حيث تعدّ من الناحية العملية جزءا لا ينفصل

د/ حكمة بوبعبو.....المنهج المدرسي بين النظرية والتطبيق

عنها، وينبغي أن تستخدم هذه الأساليب وهذه الرسائل في ضوء علاقتها الوظيفية بعلميات التعليم والتعلم، باعتبارها عمليات متكاملة، وهي ليست غايات في حد ذاتها، بل وسائل لتحقيق هذه الغايات، وتتجسد عادة في تحسين العملية التعليمية وجعلها أكثر كفاية وقدرة على إحداث نتائج التعليم المرغوب فيها⁽³⁾.

ويستهدف العمل التربوي بناء كاملا شاملا مجسدا في كل أبعاده البدنية والعقلية، وحتى يحقق لا بد من أن يشترك فيه جميع المعنيين بالعملية التربوية بشكل فاعل ومؤثر، حيث إن المتعلم هو محور وجوهر عملية التعليم، إذ ينقل مركز الاهتمام إلى التلميذ نفسه، وفي ضرورة قيام التلميذ بدور إيجابي في عملية التعليم، وفي جعل ما يدرسه وثيق الصلة بحياته وبيئته، وذلك بواسطة المتعلمين أنفسهم برعاية وإشراف وتوجيه المعلم المربي الذي يساعدهم على تحديد المشكل الذي يريدون ويرغبون فيه ويتحمسون له ويحسون به، وفي إطار العمل الجماعي المشترك يوزعون الأدوار فيما بينهم ويقوم كل منهم بأداء المعلومات والبيانات، ويتحققون من صحتها، ويستنبطون ويستخلصون منها النتائج⁽⁴⁾.

إن جمع المعلومات والبيانات عن الحيوانات مثلا يتأكد وترسخ ويبقى في ذهن المتعلم أثرها. ولعل التقاط المعلومات والحقائق المتعلقة بالبيئة نابع من ارتباط المادة الدراسية النظرية بالتطبيق العلمي الميداني، وبهذا الشكل يقل عنصر النسيان لدى المتعلمين، وترسخ المعلومات والمعارف في أذهانهم بشكل أفضل مما هو عليه في المناهج الدراسية الأخرى.

وفضلا عما سبق، فإن العمل الجماعي الذي يعتمد عليه هذا المنهج هو ارتكازه على التشاور والتعاون والتنسيق بين كل الأطراف ذات الارتباط والعلاقة،

مجلة المعيار العدد الثالث عشر

إذ يتم التخطيط والإعداد له بشكل جماعي ، ومن مميزات العمل الجماعي أنه يغرس في المتعلمين الكثير من القيم والفضائل والمفاهيم ، مثل التعاون والانسجام والتنسيق والاعتماد .

غير أن الاعتماد على العمل الجماعي وحده لا يعدّ كافيا ، حيث يحسن أن يوضع في الاعتبار قضية الميل . فكلما كان الدافع نابعا من ذات المتعلم وميوله الداخلية والخارجية اكتسب حيوية ونجاحا ، ذلك أن المتعلم الذي لا تعتمل في نفسه رغبة فيما يتعلمه تتصارع فيه عوامل الاندفاع إلى ما يميل إليه والانصراف عما يتعلمه .

ونلاحظ أن مهمة المدرس في هذا المنهج هي التعرف على ميول التلاميذ واتخاذها أساسا لتوجيه نشاطهم التربوي ، ونعني بالميول المقصودة هنا تلك الميول التي يحس بها التلاميذ ويعبرون عنها ، وليست ميولا كما يتصورها الكبار .

وعلى الرغم من اختلاف التلاميذ فيما بينهم ، فإن هناك ميولا مشتركة يجتمعون حولها في كل مرحلة ، مما يضمن أداء المدرسة لوظيفتها في تقديم قدر مشترك من الثقافة للتلاميذ يحقق أسباب الوحدة الثقافية والفكرية اللازمة لأبناء الجيل الواحد⁽⁵⁾ .

وتجدر الإشارة إلى أن المدارس عامة والمدرسة الجزائرية خاصة بدأت تبتعد عن أنماط الحياة المدرسية التقليدية ، حيث أدخلت في عملها فرصا لأوجه نشاط مختلفة بين الحين والآخر ، إذ اقتنع المعلمون والمربون بأن النشء في حاجة إلى أنواع من النشاط تتصل في أغلب الأحيان بمادة الكتاب . ولعل المبدأ العام المنتهج في

د/حكيمة بوبعويو.....المنهج المدرسي بين النظرية والتطبيق

طريقة تدريس الأشغال اليدوية هو تعويد التلاميذ الاعتماد على النفس ، حيث لا يقدم لهم المعلم المساعدة إلا عند الضرورة القصوى .

وتعد الأشغال اليدوية من الأساليب الطبيعية لإبراز ما يتخيله التلميذ أو يشاهده أو تطمح نفسه إليه ، كذلك تعمل على مزج ملكة الإدراك بالتنفيذ ، ومن ثمة تسهم في تربية الذوق وتوطيد الشعور بالصدق والجمال⁽⁶⁾ .

ويبدو هذا التحفيز وارد في العديد من المواد كدراسة الوسط والعلوم الطبيعية والجغرافيا التي تعتمد اعتمادا يكاد يكون كليا على الملاحظة والتجربة .

ففي هذه المواد يقوم التلاميذ بدراسة بعض العينات التي جمعوها والنماذج التي أنشأوها أو حصلوا عليها ويدرسون صوراً وأشكالاً توضيحية⁽⁷⁾ .

وبعد إنهاء عملية الجمع والتصنيف والتبويب تأتي مرحلة المناقشة وإعداد التقارير ، وذلك بإشراف المعلمين .

وتتوزع هذه المشاركة على عدد من المواد الأخرى ، مثل التربية الإسلامية التي تدرس على أساس أنها الوسيلة الجيدة للتأثير في سلوك الأطفال قولاً وفعلاً، والمجالات التي تتحقق فيها هذه التربية متنوعة ، بحيث تبرز تحت عناوين مختلفة. وتتناول الأهداف من جوانب عدة وتوجه نحو غرض واحد ، وهو تهذيب سلوك التلاميذ ، وغرس القيم والمبادئ الإسلامية السامية في نفوسهم ، بواسطة بعض الآيات من القرآن الكريم ، فضلا عن الأحاديث النبوية وبعض المأثورات من الشخصيات التاريخية⁽⁷⁾ .

مجلة المعيار العدد الثالث عشر

ومن ثم ، فإنه في مجال العبادات والشعائر الدينية ، يجب أن تكون مشاركة التلاميذ فعلية ، بحيث يمكنهم أن يتدربوا على الوضوء والصلاة داخل القسم ، فيؤدي المعلم الوضوء مثلا بشكل نموذجي كامل ودون كلام مع مطالبة التلميذ بالوضوء أمام رفاقه ، ويكرر ذلك مع عدة تلاميذ ، وحين ينتهي كل تلميذ من الوضوء يعلق المعلم على ما وقع فيه من أخطاء.

بالإضافة إلى التربية الإسلامية ، فإن التربية المدنية من المواد التي تسعى إلى ربط المدرسة بالمحيط ، وتعتمد هذه المادة على أسلوب المحادثة ، ولعل المحادثة لون هذه المادة من ألوان التعبير اللغوي ، ومظهر من مظاهر النشاط الاجتماعي ، وبما أن التجارب التربوية أثبتت نجاعة العمل الجماعي ، فإنه يجب الاستفادة من ذلك في مادة دراسة الوسط بخاصة ، لا سيما أنها تهيء الفرصة للاشتراك الجماعي من قبل التلاميذ ، فضلا عن القيام بالعديد من الأنشطة والتجارب العلمية . وقد لاحظنا أن هذه الطريقة معمول بها ، خاصة على مستوى الإكماليات وبعض المدارس الأساسية ، ولعل في هذه التجارب العلمية ما يساعد التلاميذ على فهم الظواهر الطبيعية والبيئية المحيطة بهم ، مما يمكنهم من توظيف هذه الحقائق وربطها بما يدور حولهم في حياتهم اليومية ، ويكتسبون بذلك مهارات ، ومنها المهارة اليدوية في كيفية تناول الأدوات والأجهزة والتعامل معها ، ويمكن للمدرس أن يستخدم المخبر والعروض العلمية واللوحات والنماذج ، وغير ذلك من أوجه النشاط في تنمية هذه المهارات ، لأن بعض الحقائق لا يمكن إدراكها إلا بواسطة التجريب ، كما في حالات التفاعلات الكيماوية⁽⁸⁾ . فقد يسأل التلاميذ عن العلاقة بين درجة الغليان وضغط الهواء ، كما قد يطلب منهم غرس حبوب الفاصوليا مثلا ،

د/حكيمة بوبعويو.....المنهج المدرسي بين النظرية والتطبيق

أو حبوب الفول في وعاء من الطين ، ثم إضافة كمية أخرى من التربة فوق الحبوب مع كمية من الماء ليوضع الوعاء بجوار النافذة ليمتصّ الهواء ، ويحث التلاميذ على ملاحظة الوعاء يوميا حتى يستكمل النمو بدرجة كافية ، ويتمكنون من التعرف على الجذور والسيقان .

ولجذب انتباه التلاميذ وخلق الإثارة في نفوسهم يستعين المعلم ببعض الوسائل التعليمية بحسب اختلاف مرحلة التعليم التي يستخدم فيها ، بما ينسجم مع إدراك التلميذ في كل مرحلة .

المنهج المحوري :

عادة ، تسعى الطريقة المحورية إلى تحقيق مبدأ " العلم للمجتمع " ، حيث تدفع المدرس للبحث عن المشكلات العامة التي يواجهها الشباب في المجتمع. فالمشاكل العامة التي تدور

حولها الدراسة في تلك الطريقة تخرج في ثنايا التفاعل بين الطالب والبيئة التي يعيش فيها⁽⁹⁾.

فاتصال الدراسة في الطريقة المحورية بالمشاكل التي يهتم بها المتعلمون والحاجات التي يشعرون بها ، يساعد مساعدة فعالة على شمول الخبرات وتعميق أبعادها وتكرار ممارستها ، وذلك كله يحقق فاعلية انتقال أثر التعليم وسهولة تطبيق هذه الخبرات المكتسبة في المواقف العديدة⁽¹⁰⁾ .

ويلاحظ أن هذه الطريقة معمول بها في الطورين الثالث والرابع في المدرسة الجزائرية ، حيث يوجه الطلبة إلى الاختصاصات التي تتضح فيها كفاءتهم سواء

مجلة المعيار العدد الثالث عشر

أكان الاختصاص علميا أم أدبيا . وانطلاقا من هذا التقسيم ، يتناول المحاور العلمية والأدبية التي لها علاقة بالتوجه ، بحيث تدعم الفروع العلمية بمادة الرياضيات والعلوم الطبيعية والتربية التكنولوجية ، وتصبح هذه المواد محاور أساسية ، أو يؤخذ عنصر من عناصرها كمحور أساسي في الدراسة ، في حين تثرى المواد بالأدب ومسيرته التاريخية ، التاريخ ، الجغرافيا ، الفلسفة ... ويلاحظ أن كل مادة مقررة على التلاميذ تنظم تنظيما منفصلا عن الأخرى .

منهج المواد الدراسية المنفصلة :

لما كان الغرض الجوهري من دراسة هذا النوع من المناهج ينصب على تزويد التلاميذ بالمعلومات ، فإن العبء الأكبر في تقديمها بالصورة المثلى يقع على كاهل المدرّس ، ويكون الهدف الأسمى من العملية التربوية مساعدة التلاميذ على تحصيل المعلومات ، أما بقية الأهداف التربوية الأخرى ، وفي مقدمتها الاهتمامات والاتجاهات المناسبة ، وتدريب التلاميذ على أساليب التعلم السليمة، وتكوين شخصيتهم، وتوجيه سلوكهم ، فإنه يحتل مكانا ثانويا (11) .

يكمن هذا النقص في أن مركز الاهتمام في هذا المنهج هو المادة الدراسية ، والمعرفة النظرية والتلقين ، أما الجانب العملي فإنه لم يحظ بالاهتمام المنشود ، ويترتب على مثل هذا الطرح انعكاسات سلبية ، منها :

- دور التلميذ فيه سلبى يقتصر على استقبال المعلومات من المدرس.
- إجبارية حفظ المعلومات المتضمنة في الكتاب المدرسي ، حتى لو كان المعلم غير راغب فيها (12) .

د/حكيمة بوبعويو.....المنهج المدرسي بين النظرية والتطبيق

إن مثل هذه المواصفات جعلتنا نتساءل عن مدى موقع هذا المنهج من المناهج المستخدمة في التعليم الأساسي ، ومدى نجاحه في إيصال المعلومات المتعلقة بالبيئة إلى أذهان التلاميذ . إن طرح مثل هذه الإشكالية لا يكون مرهونا بالمنهج - في حد ذاته - بل بمستويات أخرى ، كطريقة المعلم في جعل مثل المنهج يتأقلم ويتجاوب مع مستويات التحليل والتفسير والتقييم والتقويم ، على الرغم من أن الثقافة في هذا المنهج كثيرا ما تفهم على أنها المعرفة وحدها ، وبذلك فإن هذا المنهج يعمل على تزويد التلاميذ بأكثر عدد ممكن من الحقائق والنظريات ، ويهمل العناية بالعناصر الأخرى في الثقافة وبخاصة النواحي العملية والتطبيقية والسلوكية . في حين تتطلب القيم المتضمنة في فلسفة مجتمعنا الممارسة العملية في أذهان وعقول تلاميذتنا ، مما يدعو إلى أسلوب من الحياة الاجتماعية في المدرسة يقوم على حل المشكلات بطريقة علمية عملية ، ولكن الإصرار في الاهتمام بالمادة الدراسية وشرحها وإعداد التلاميذ لأداء الامتحانات فيها ، كثيرا ما يصرف المدرسين عن هئية الفرص للتلاميذ لاكتساب القيم المنشودة .

والواقع أن المناقشات التي أجريت في أثناء الأيام الدراسية الخاصة بإصلاح التعليم الأساسي في فيفري 1999 ، أثارت في بعض بنودها جوانب النقص التي يعاني منها المنهج المدرسي ، وكذا اعتماده على مواد منفصلة تهتم بالجوانب المعرفية والأكاديمية ، وتبتعد عن حاجات التلاميذ ومجتمعهم، وتفتقر إلى الترابط بين أهدافها ومضامينها وأساليب تدريسها⁽¹³⁾.

الهوامش :

- (1) - إبراهيم سلوم ، التعليم الابتدائي ، الأردن ، دار الشرق (د.ت) ، ص 293.
- (2) - أحمد حسن اللقاني ، برنس أحمد رضوان ، تدريس المواد الاجتماعية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ص 75 .
- (3) - نجاح يعقوب الحمل ، الاتجاهات التربوية المعاصرة في أساليب التعليم في معاهد المعلمين والمعلمات ، مجلة رسالة المعلم ، المملكة الأردنية الهاشمية ، ص 41.
- (4) - خليفة شحاتة الباح ، المناهج التربوية والتربية البدنية ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، 1992 ، ص 98 .
- (5) - الدمرداش سرحان ، منير كامل ، المنهج المدرسي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1988 ، ص 203 - 205 .
- (6) - أنطون حبيب رحمة ، تجارب عربية في التعليم الأساسي ودليل تخطيطه ، تونس 1995 ، ص 66 .
- (7) - مناهج ومواقيت السنة الرابعة من التعليم الأساسي ، المعهد التربوية الوطني ، الجزائر 1983 - 1984 ، ص 27 - 28 .
- (8) - أيمن أبو الروس ، أحدث الطرق العلمية والتربوية لتدريس العلوم للأطفال والناشئين ، مكتبة ابن سينا ، دمشق 1990 ، ص 66 .
- (9) - حسن سليمان قورة ، الأصول التربوية في بناء المناهج ، دار المعارف ، ط 7 ، ص 238 .

د/ حكيمة بوبحيو.....المنهج المدرسي بين النظرية والتطبيق

- (10) - المرجع السابق نفسه ، ص 240 .
- (11) - المرجع السابق نفسه ، ص 146
- (12) - المرجع السابق نفسه ، ص 205.
- (13) - المجلس الأعلى للتربية ، المبادئ العامة للسياسة التربوية الجديدة وإصلاح التعليم الأساسي ، عناية يومي 11 - 12 أفريل 1999 .